

## صيد الخاطر

37 - - فصل : جهاد النفس .

تأملت جهاد النفس فرأيتته أعظم الجهاد و رأيت خلقا من العلماء و الزهاد لا يفهمون معناه لأن فيهم من منعها حظوظها على الإطلاق و ذلك غلط من وجهين : .  
أحدهما : أنه رب مانع لها شهوة أعطاها بالمنع أوفى منها .  
مثل أن يمنعها مباحا فيشتهر بمنعه إياها ذلك فترضى النفس بالمنع لأنها قد استبدلت به المدح .

و أخفى من ذلك أن يرى - بمنعه إياها ما منع - أنه قد فصل سواه ممن لم يمنعها ذلك و هذه دفاثن تحتاج إلى مناقش فهم يخلصها .  
و الوجه الثاني أننا قد كلفنا حفظها و من أسباب حفظها ميلها إلى الأشياء التي تقيمها فلا بد من إعطائها ما يقيمها و أكثر ذلك أو كله ما تشتتبه .  
و نحن كالوكلاء في حفظها لأنها ليست لنا بل هي وديعة عندنا فمنعها حقوقها على الإطلاق خطر .

ثم رب شد أوجب استرخاء و رب مضيق على نفسه فرت منه فصعب عليه تلافياها .  
و إنما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل يحملها على مكروهاها في تناول ما ترجو به العافية و يذوب في المرارة قليلا من الحلاوة و يتناول من الأغذية مقدار ما يصفه الطبيب و لا تحمله شهوته على موافقة غرضها من مطعم ربما جرجوعا و من لقمة ربما حرمت لقمات .  
فكذلك المؤمن العاقل لا يترك لجامها و لا يهمل مقودها - بل يرخى لها في وقت و الطول بيده .

فما دامت على الجادة لم يضايقها في التصيق عليها .  
فإذا رآها مالت ردها باللفف فإن ونت و أبت فبالعنف .  
و يحبسها في مقام المداراة كالزوجة التي مبنى عقلها على الضعف و القلة فهي تدارى عند نشوزها بالوعظ فإن لم تصلح فبالهجر فإن لم تستقم فبالضرب .

و ليس في سيات التأديب أجود من سوط عزم .  
هذه مجاهده من حيث العمل فأما من حيث وعظها و تأنيبها فينبغي لمن رآها تسكن للخلق و تتعرض بالدناءة من الأخلاق أن يعرفها تعظيم خالقها لها فيقول : .  
ألسنت التي قال فيك : خلقتك بيدي و اسجدت لك ملائكتي و ارتضاك للخلافة أرضه و راسلك و اقترض منك و اشترى .

فإن رآها تتكبر قال لها : هل أنت إلا قطرة من ماء مهين تقتلك شرقة تؤلمك بقعة ؟ .  
و إن رأى تقصيرها عرفها حق الموالى على العبيد .  
و أن ونت في العمل حدثها بجزيل الأجر .  
و إن مالت إلى الهوى خوفها عظيم الوزر ثم يحذرها عاجل العقوبة الحسية كقوله تعالى : {  
قل أرأيتم إن أخذنا سمعكم و أبصاركم } و المعنوية كقوله تعالى : { سأصرف عن آياتي  
الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق } .  
فهذا جهاد بالقول و ذاك جهاد بالفعل